مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد 09 العدد 01 جانفي 2025 ص259/ 266

الدرس النحوي في ألفية ابن معطي ـ منهج يقارب الحداثة وأصول لا تضمحل

The grammatical lesson in "Alfiyya" Ibn Mu'ṭīAmoden and traditional – based approach

عمار لعويجي*
المركز الجامعي (سي الحواس) بريكة، الجزائر
ammar.laouidji@cu-barika.dz

فطيــمة الزهرة سي عبد الله
المركز الجامعي (سي الحواس) بريكة، الجزائر
amalifillahcabir@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/08/09
تاريخ القبول:
2024/12/29

الكلمات المفتاحية:
- ✓ ابن معط
- ✓ الألفية
- ✓ المنهج

الملخص

ابن معط الزواوي البجائي، من علماء اللغة الجزائريين الذين شهد لهم التاريخ بالرصيد الزاخر، والأثر البالغ في اللغة والنحو ، لما تركه من متون وشروحات في مختلف العلوم ، تيسيرا منه لطلبة العلم على البحث والإفادة ودفعهم للانتفاع والاستزادة ، معتمدا في ذلك اللغة البينّة.

لذا جاءت هذه الدراسة لبيان براعة ابن معطي في نظمه للألفية، آخذا بيد الناشئة الفتية من أبواب عقولها وميزان إدراكها ليكبروا على هذا النحو ويألفوا هذه السليقة، والمنهج الواعي الذي سلكه في عرض مادتها. ليجعلها مصدرا وثيقا لطلبة العلم والدارسين اليوم.

Article info

Received

Abstract :

One of the Algerian linguists whose contributions to language and

*المؤلف المرسل:

grammar have had a considerable impact on historyis Ibn Mu'at al-Zawawi al-Bajja'i, for the texts and explanation she left behind in a variety of academic fields. In the interest of facilitating knowledge of students' research and benefit, as well as motivating them to improve and enhance, relying on rational language, clear. As a result, the present studyaims to demonstrate Ibn Mu'ti'sbrilliance in organizing the "Alfiyya", as well as the deliberate approach he followed in presentingits material to make itareliable source for students of knowledge and scholars today.

09/08/2024

Accepted

29/12/2024

Keywords:

- ✓ *IbnMu'aatī*
- ✓ *Alfiyya*
- ✓ *Approach*

مقدمة:

حاز ابن معطي فضل السّبق بنظمه للألفية المعروفة بـ "الدّرة الألفية في علم العربية"، ونال شرف الريادة في مثل هذا النّظم،حيث حوى فيها ما ينيف على الألف بيت، خصّيصا لطلبة العلم، ليسهل لهم بذلك فهم قواعد اللّغة العربية، ويعينهم على تذكرها، في قالب فريد، ومنهج حكيم، ضمّنه مواضيع النّحو المهمة وبعض الصّرف والإملاء الذي غفل عنه الكثيرون في منظوماتهم، صاغها بأسلوب متميّز وطريقة سهلة ليحبّبها لهم ويرغبهم في الاستزادة منها.

لقد حظيت الألفية بإقبال كبير، والتفاف للنّاس حولها لتدارسها، وزكّاها علماء كبار على مرّ السّنين، لكن حظّ الكتاب من حظّ مؤلّفه، فلظروف لا نعلمها، حالت دون شهرتها وذاع غيرها على حسابها، ورغم ذلك لم ينقص هَذا من قيمتها، والتفتَ إليها مجموعة من النّحويين الثّقاة وتناولوها بالشّرح والدّراسة، وشهدوا له بثراء المحتوى والأسبقية والفضل والأحقيّة، وأنّ من جاء بعدها كان مقلّدا أو تابعا، أو حتّى مغيّرًا، معتمدًا عليها في تطوير منهجه وتحسين نظمِه. وأمام هذا التّميز تواجهنا إشكالية نطرحها لهذه الدّراسة وهي: بم تميّز الدّرس النّحوي في الألفية لوسم صاحبها بالإبداع والتفنّن؟ وهل يقارب منهجه فيها المناهج التّعليمية الحديثة؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية؛ تمَّ اتباع المنهج الوصفي التّحليلي بداية للتّعريف بالألفية والشّروحات التي أقيمت حولها، ثم لعرض أهم خصائص منهج ابن معطي فيها ومدى مقاربته لمناهجنا اليوم، وختم ذلك بتوصيات للإفادة من هذا الإرث النّفيس وإعطائه حقّه ضمن التّراث الوطني الأصيل.

1. التّعريف بالألفية:

هي منظومة تعليمية نحوية، عرفت من خلال ألفية جاءت بعدها وهي ألفية ابن مالك حيث ذكرها في بداية نظمه مثنيا عليها ومعترفًا بأسبقيتها فقال (السيوطي، 2000، ص 22):

وتقتضي رضا بغير سخط　　فـائقة ألفية اِبن معـط

وهو بسبقٍ حـائز تفضيـلا　　مستوجب ثنائي الجميلاَ

والله يقضي بهبـــات وافرة　　لي وله في درجات الآخرة

سمّاها صاحبها بـ"الدّرة الألفية" وهو أوّل من استعمل هذا الاسم (ابن معطي، 1972، ص 48) حيث قال في ختامها:

تحويه أشعـارهم المروية هذا تمـــام الدّرة الألفية

لقد جاءت الألفية في (1021) بيتًا، وإذا استثنينا المقدمة والخاتمة يبقى (1002) ألف وبيتان في عرض مسائلها، مقسمة في (33) بابًا مجملًا، تحته ما يقارب التسعين موضوعًا متفرعًا.

وكما تفرّد ابن المعطي في تسمية نظمه تفرّد كذلك في صياغتها على بحرين (الرجز والسّريع) وهو ما لم يعهده النّاس في النّظم، وكان دليلا له على قوّة حسّه وسعة تمكنه (ابن معطي، 1972، ص 34).

2. شهرتها:

لقد لاقت الألفية قبولًا واسعًا وتقديرًا من علماء اللّغة والنحويين، وشهدوا بتفردها وعلم صاحبها وذكرها المؤرخون في كتبهم، وتناولها بعضهم بالدّراسة والشّرح.

ومن هذه المصادر:

أ. كتب النّحو: مثل الهمع، الأشباه والنظائر، المغني، شرح ابن عقيل...الخ

ب. كتب التراجم: وفيات الأعيان، شذرات الذهب، تاريخ ابن الوردي، تاريخ أبي الفدا.. إلخ

جـ شروحالألفية: أقيمت شروح كثيرة حول الألفية من بينها (الشوملي، 1985، ص ص 68- 70):

1. شرح أحمد بن الخباز الإربلي الموصلي النحوي الضرير(ت637هـ).
2. التعليقات الوفية بشرح الدّرة الألفية لمحمد أبو بكر الوائلي البكري الأندلسي الشريشي (ت685هـ).
3. شرح عز الدين أبو قرشت المعروف بسعفص المراغي النّحوي(ت666هـ).
4. شرح اِبن النحوية محمد بن يعقوب الدّمشقي (ت817هـ).
5. شرح شهاب الدين المرداوي الصالحي المقدسي (ت827هـ).
6. شرح أحمد بن يوسف بن مالك الرعينيالألبيري (ت977هـ).
7. شرح عبد المطلب الجزري (ت537هـ).
8. ضوء الدّرة لعمر بن مظفّر بن الوردي الحلبي الشافعي (ت946هـ).
9. شرح محمد بن جابر الأندلسي الهواري المالكي (ت780هـ).
10. شرح محمد بن أحمد البابرتي الحنفي أكمل الدين(ت786هـ).
11. شرح يوسف أبو الحسن الحموي الشافعي (ت809هـ).
12. شرح تقي الدين بن ثابت الطّائي.
13. شرح عز الدّين بن جمعة بن زيد القواس الموصلي(ت696هـ).

وهذه الشروحات الكثيرة ماهي إلّا دليل على جودتِها والاعتراف بقيمتها عند علماء اللّغة من مختلف الأقطار.

3. خصائص منهج ابن معطي من خلال الألفية:

لقد تميّز منهج ابن معطي في نظمهِ للألفية بخصائص تضمن تفرّدهُ، وميزات يَرْكنُ إليها رجال العلم، نوجز أهمها في النّقاط التّالية:

1.3 الطابع التّعليمي:

تميّز نظم ابن معطي للألفية بطابعه التّعليمي غاية ومنهجًا، فالغاية أن أفصح عنها في بداية النّظم بقوله (ابن معطي، 2010، ص 17):

وذا حدا إخوان صدق لي على أن اقتضوا مني لهم أن أجعل

أرجوزة وجيـــزة في النّحو عِدّتهـا ألف خلت من حشو

وكأنّه لبى نداء تلاميذه وطلاب العلم أنداك، ليجعل لهم هذا المؤلّف المختصر، يخلّصهم فيه من كثرة دروس النّحو، وتشعب مواضيعهِ، وينقذهم من سرعة تفلت قواعده، لذلك سلك منهجًا تعليميًا في عرض مواضيعها، فذكر الأبواب المهمة وجانب التفصيل والاسترسال. وهذا سبيل المناهج الحديثة والكتب التعليمية المعاصرة، حيث أصبح النّحو فيها مختصرا يقتصر على المواضيع الأساسية المهمة، لإصلاح لسان المتعلّم، وتحسين لغته، وهي مواضيع تتوخى البسَاطة والوضوح، قابلة للتّدريس، وفق معايير نفسية وتربوية تناسب المبتدئ لتهذيب لغته والمتقدّم لتقييد عِلمِهِ، وكلاهما لإرساء قاعدة صحيحة وسليقة سليمة.

2.3 فلسفته التربوية:

ابن معطي إمام مبرز، ورجل علم ولغة عرف في زمانه بمجالس العلم والتّدريس، والتفاف النّاس حوله، عالمٌ بكتاب الله وحديث رسولهﷺ حافظ للشّعر، بارع فيه، لذا كان حريصا على نقل هذه القيم الدّينية والمبادئ التّربوية من خلال دروسه وما تركه لتلاميذه، وحثهم على بذل الجهد في طلب العلم النّافع، لأن العلم؛ "الذي تقوم على أساسِهِ الحياة الرّاشدة، الفاضلة، هو الذي يقوم على دعائم صحيحة مستمدة من الخالق وتنسجم مع حقائق وتكوين الإنسان الفطري والقوانين التي تنظم الكون والحياة" (الكيلاني، 1986، ص 92). ولأنّ أكثر ما برع فيه النّحو، فقد جعل ألفيته وسيلة تربوية إلى جانب قيمتها العلمية، وحاول بثّ القيم الإسلامية والمبادئ التربوية، فاستشهد، ومثّل واستعار التّعابير اللّازمة من النّصوص الأصيلة ليقربها من المتعلم، فإنّ فهم المتعلم القاعدة وطبقها على هذه النّصوص زادَ وضوحها، وتبيّن مغزاها وقويَ فهمه واتّسع إدراكه ورسخ محفوظه (الشوملي، 1985، ص 85)، لتصبح لسان صدق يحتذى به، وحجّة يعتدّ بها، ومثال ذلك ما جاء في مقدمة النّظم (ابن معطي، 2010، ص 17):

الحمد الذي هدانـــا بأحمد دينًا له ارتضـــانا

فلم يزل ينْمَى به الإسلام حتّى استبانت للهدى أعلام

مؤيدا منه بخير الكُتبِ وحيًـــا إليه بلسان عربي

لكونهِ أشرف ما به نطق كما الرسول خير مخلوق خلق

صلى عليه الله ثمَّ سلَّما وآله وصحبه وكرّمـــا

وبعد فالعلم جليل القدر وفي قليـــله نفـاذُ العمرِ

فهذه مقدمة توحي باعتزاز ابن معطي بالدّين الإسلامي كتابًا وسنّة، وباللّغة العربية لسانًا وعلما، وبحثه على العلم وبذل الجهد والعمر فيه لأنّه سبيل الفلاح والهدى والصّلاح.

3.3 الشعر التعليمي:

إنّ السبب وراء نظم ابن معطي للشّعر التعليمي هو نفسه الذي أدّى إلى اتساع دائرة النّظم في عصره، في مختلف العلوم، فكلهم يسعى لحفظهَا من الضّياع، وتسهيل عملية تَعليمها، باختصار أصولها وقواعدها؛ تبسيطًا منهم للمتعلمين ودفعًا للملل والنّفور منها، "ولمَّا كان العربُ أكثر براعة في الشّعر، وظّفوه لهذا الغرض كآلية مناسبة آنئذ مثلما توظّف اليوم آليات المعلوماتية والالكترونيات والحواسيب مما فيها من سلبيات وإيجابيات للبحث وطلبِ العلم والتّعليم أيضًا" (خلوفي، 2011، ص 187).وابن معطي يؤكد استعماله كوسيلة مساعدة للتعليم بقوله (ابن معطي، 2010، ص 17):

لعلمهم بأنّ حفظ النّظم وفق الذكي والبعيـد الفهم

لاسيما مشطور بحر الرّجز إذ بني على ازدواج موجز

أو ما يضاهيه من السّريع مزدوج الشطور كالتصريع

حيث يشير إلى أن العرب في وقته، وطلبة العلم خصوصًا، يرون أن الشّعر أسهل تناولًا، وأسرع حفظًا على الذكي المستطيع، وعلى المتأخر البطيء، فكلاهما يفضّله لرقّة موسيقاه، واستمالتها للنّفس، فاستغلوا بذلك طبيعة الشّعر، للتّرغيب في محتواه. ولم يقف ابن المعطي عند ذلك بل صاغ شعره من بحرين الرّجز والسّريع، وهذا ما لم يألفه النّاس وقال عنه ابن القواس أحد شراح الألفية"واعلم أن الطريقة التي سلكها يحي لم يسلكها العرب، إذ ليس في نَظمها قصيدة من بحرين" (النيلي، 1419هـ، ص 17). وما هذه القدرة على التحكم في البحرين ودمجهما إلّا دليل براعة للمؤلف وقوة لحسّه الموسيقي، لأنّ البحران متقاربان جدًّا، ويصعب التفريق بينهما، حيث أن تفاعيل شطور الرّجز هي:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وتفاعيل شطور السّريع هي:

مستفعلن مستفعلن مفعولات

فهي متشابهة ولا تختلف إلّا في الوتد. لهذا لا ينتبه لها إلّا الحذِق. ولعلَّ اختيار هذا الشكل الجديد في النّظم "كان من العقبات التي أثّرت على انتشار واشتهار ألفية ابن معطي، فالبحر السّريع من أثقل البحور الشّعرية، لما يدخله من زحافات وعلل" (الشوملي، 1985، ص 68). ورغم هذا حظيت بإقبال الدّارسين وطلاب العلم عليها حتّى أنّ اِبن مالك صاحب أشهر ألفية درّسها لطلابه وأفاد منها في نظمِهِ (الشوملي، 1985، ص 76).

4.3 التّدرج:

ابن معطي عالم حذق واسع المعرفة، تدرّج في عرض موضوعات الألفية لأنّها موجّهة للمبتدئين خاصة، حيث اعتمد "نظام التّعميم ثمّ التخصيص فهي تعرض لأنواع الكلام الثّلاثة من اِسم أو فعل أو حرف ثمّ تعود لكل واحد منها بالتّفصيل وذكر الجزئيات" (الشوملي، 1985، ص 143). وانتقل فيها من البسيط إلى المعقد ومن العام إلى الخاص وربط السّابق باللّاحق، وهذا في جميع مسائلها وبدأ بالأكثر أهمية لخلق قاعدة سليمة يصحّ البناء عليها على حدّ قوله (ابن معطي، 2010، ص 17):

فـــابدأ بالأهم فالأهم فالحازم البادئ فيما يستتم

فإنّ من يتقن بعض الفنّ يضطر للباقي ولا يستغـي

ولأنّ ما قام به ابن معطي هو الأساس الذي يقوم عليه كل منهج تعليمي، فإنّنا نجد من علماء اللّغة والفلاسفة والمنظرين من يؤكّد عليه كابن خلدون إذ يقول "اِعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلمين، إنّما يكون مفيدًا، إذا كان على التّدريج شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلًا" (ابن خلدون، د ت، ص 502).فالتّبصر والتّعقل في الأخذ بالعلم أمر لابدّ منه لامتلاك فنونه، وكذا عند علماء اللّغة المحدثين نجد صالح بلعيد ينبّه عليه في دراسة قواعد النّحو بقوله" إن التّنقل من بنية أصلية إلى ما يتفرّع عنها والعكس هو الذي ينبغي أن تكون عليه الممارسة في الجانب النّحوي، ويفضّل أن يجرى ذلك بالإعتماد على نصوصٍ مخصّصة لذلك" (بلعيد، 2013، ص 25).

إلى جانب التّدرج في عرض مسائل النّحو، راعى ابن المعطي التّدرج في تنمية المهارات اللّغوية لدى المتعلّم بدءًا من سماعِهِ المتن من معلّمه إلى التدرب على قراءته وفهمه وتحليل قواعدِه والتّمثيل بشواهده إلى استثمار تلك القواعد في حديثه وإنتاجه الكتابي. وهذه أهم المهارات اللّغوية(الاستماع، القراءة، التواصل، الكتابة) التي تسعى المناهج التّعليمية الحديثة إلى اِكسابها للمتعلمين من خلال تدريس اللّغة العربية (حثروبي، 2012، ص 138).

5.3 الشّمولية:

شملت الألفية موضوعات كثيرة في مختلف فروع اللّغة العربية وهي: النّحو والصّرف والخط والكتابة والعروض وعلم الأصوات. ولكونها شعرًا "جاءت الأبواب فيها مقفلة، والفروع الدّاخلة تحتها مجملة، فقارئها إن كان مبتدئًا محتاجٌ إلى فتح تلك الأبواب وضبطها، وإن كان شاديا متشوّقٌ إلى تفريغ تلك الفصول وبسطها" (النيلي، 1419، ص 19). فالمتعلم منها يحتاج معلما يشرح ويبسّط له القواعد ويدرّبه عليها والدّارس لها، يجدها المادة الخصبة، والسّاحة الرّحبة لعلم العربية، يخوض فيها ويحللُ فصولها ويبين التفصيل فيها. فهي منظومة تعليمية شاملة يجد فيها المتعلم ضالّته لإصلاح لسانه وتحسين خطابِه وتكوين سليقة سليمة.ولقد شهد لها علماء اللّغة بسعتها وغناها فكانوا يدعون طلاب العلم للأخذ بها، وهذا جعفر الغرناطي (ت779هـ) يقول عنها (الأتابكي، 1932، ص198):

يا طالب العلم ذو اِجتهاد تسمو بالورى وتحيـــــا

إن شئت نيل المــراد فاقصد أرجوزة للإمام يحي

كما جاء في الدّرر (العسقلاني، 1993، ص 170) أن مالكًا نفسه كان يقرئها لتلاميذه، وأنّ بعض طلبة العلم أخذها عن الشيخ شمي الدين المعيد المعروف بإبن عائشة (العسقلاني، 1993، ص ص 43-44).

6.3 الأسلوب :تميز ابن معطي بأسلوبه الفريد عكس رجاحة عقلهوسعة علمه وعذوبة لغته، فهو من المبدعين في النظم، ورغم أنّه نظّم الألفية وهو صاحب الحادية والثلاثين (الشوملي، 1985، ص76).إلّا أنّ كبار العلماء

والنّحويين شهدوا له بالبراعة والإحكام في صياغة قواعدهامنهم ابنالوردي الذيقال بأنّها"شاهدة لناظمها بإصابة الصّواب والتّفنن في الآداب، حتى كأن سيبويه ذا الإعراب قال له يا يحي خذِ

الكتاب" (الوردي، 1993، ص 154). والحقّ أن ابن المعطي اشتغل في الأدب والنحو درسا وتأليفًا، لذا كان حريصا في اختيار الألفاظ ومناسبتها وجودة الصياغة وإحكامها. كما وصف المقرّي أسلوبه حين مقارنته لألفيته بألفية ابن مالك فقال" ونظمه أجمع وأوعب، ونظم ابن معطي أسلس وأعذب" (المقري، 1968، ص 232). ومن أمثلة جودة أسلوب الألفية وبراعة صياغتها قول صاحبها في باب الممنوع من الصرف (ابن معطي، 2010، ص 27):

وإن ترد قبيـــلة أو أمّا لم ينصرف كتغلب ولحمـا
كذا إذا أردت بالبلدان تأنيث تعريـفٍ كمن عمان

وقوله في باب الخط والكتابة (ابن معطي، 2010، ص 67):

والإسم والفعل بذا لا يختلفُ واكتب ذواتَ الواو كلًّا بالألف
يبينُ أصلُهُ لَكَ الخطـابُ هذا عليهِ اصطلح الكتّـاب

ومن سمات أسلوبه أيضًا خفّة طرحِهِ والتنويع فيه، فكان بين الفينة والفينة يثير فضول المتعلمين ويجلب انتباههم بمسائل تحمل ألغازًا يدفع بها عنهم الملل والفتور، وكأنّه عالم نفس مدرك لطبيعة المادة وجفافها ومثال ذلك قوله في باب مالم يسمَّ فاعله (ابن معطي، 2010، ص 34):

مسألة بها اِمتحان النشأة أعطيَ بالمعطي بِهِ ألف مائة
وكسيَ المكسوُّ فروًا جبَّة ونقُصَ الموزون ألفًـــا حبّة

وهذه من المسائل التي أوردها "لاِمتحان النشأة ولإفادة الرّياضة والتّدريب" (الشوملي، 1985، ص 625).فهي أسلوب ذكي يحتاجه كل معلم ومربي في مهمته، لأنّه يجمع بين التّشويق وحسن الصياغةوقوة المعنى.

7.3 الطريقة:

سلكَ ابن معطي طريقة تعليم في ألفيته هي أقرب إلى الطرق الحديثة في التدريس، حيث كان يستهل الأبواب بعناوين صريحة للموضوع الذي سيتطرق إليه، يهيئُ بها نفسيةَ المتعلّم ويتصدرها بلفظ (القول) ثم يصوغ عناوينهَانظمًا، ومثال ذلك في باب الإعراب والبناء قوله (ابن معطي، 2010، ص 19):

القول في الإعراب لبناء الأصل في الإعراب للأسمـاء

وكذا في باب الأسماء المعربة قوله (ابن معطي، 2010، ص19):

القول في إعراب الاسم الواحد كل صحيح بإنصراف واردٍ

وبعد ذلك يعرّف الظاهرة اللّغوية ويذكرُ خصائصها ومميزاتها أو فروعها وحالاتها مع التّمثيل لها ليقرّب المتعلم من فهمها ويسهّل له تطبيقها "وهذا يشابه إلى حدّ كبير الأساليب الحديثة في طرق التدريس حيث يبدأ الشارح بذكر القاعدة أو الموجز للموضوع ثمَّ يبدأ بالتّفصيل" (الشوملي، 1985، ص 83). وهي أقربُ ما تكون إلى الطريقة القياسية لأنّها تقوم على أساس "تقديم التّعريف ثمّ اِثبات مجموعة من الأمثلة التي ينطبق عليها التّعريف، ومِن ثمَّ القياس عليها، مما يساعد على ترسيخ المفاهيم في أذهان المتعلمين، وتمكينهم من استحضارها في الوقت المناسب" (عباس جري، 2018، ص 155).

وهي من الطرق القديمة التي لا يزال يُعملُ بها إلى اليوم لِملاءمتها في عرض قواعد العلوم وأُسسِهَا.

8.3 المصطلحات:

إنّ معظم المصطلحات التي احتوتها الألفية بعد الاطلاع عليها هي:الكلام/اللّفظ/الإسم/الفعل/الحرف/زمان/معنى/الأمر/النهي/فضل/علم/مؤكدًا/زائدا/عاملًا/الأصل/المصدر/الإعراب/البناء/مقدّر/ظاهر/الرّفع/النّصب/الجزم/علة/بين/التنوين/معتل/مقصور/الحركات/منقوصًا /مهموزًا/تضف /لا يجوز /مالم نصرف/ إبدال / حتما / التثنية/العطف/ شذوذ / المزيد مجموعًا/ الفتح/ الصّرف/ مشبه/ مركب/ المعرفة/ النكرة/ الوصف/اشتهر/نورده/ حقيقي/نسق/بيان/الأعلام/الحاضر/حال/ التخصيص/ عرض/صحيح الآخر/القسم/المكان/الماضي/التّقليل/اضمرت/ تعتمد/ الإبهام/ المبتدأ/ الخبر/ الصفة/ التّصدر/ تحذف/ التجديد/ الاستقبال/ الحاضر/ عرض/واحذفْ/توسطَت/المفردات/فاعل/مفعول به/مفعول له/فصلت/التخيير/مؤخرا/قف/شبهها/معمول/الانتقال/استعملوا/ضعف/النوع/المحدود/اشتمل/مرخّمًا/التعدّي/اللّزوم/ التضمن/ الأخير/ الاستفهام/ حروف النفي/ المستثنى/ يفترض/ فالأسبق.. إلخ

وهذه مصطلحات معروفة نتداولها في مدارسنا اليوم على مستوى الوطن العربي،وهي بصرية وقد طغت على المصطلحات الكوفية، والغرض من هذا الوصول إلى أنَّ ابن معطي لم يكن مبتدعا ولم يخرج عن الغالب عند النحاة، فهو نقل في معظم الألفية مصطلحات لسيبويه إمام النّحاة وهذا ليس عيبًا فمصطلحات هذه المدرسة أكثر عمقًا ودقة في التجسيد وهي المدرسة التي أرست دعائم النّحو. وإن كان قد ورد له آراء اتبع فيها المدرسة الكوفية والبغدادية فهذَا" لم يمنعه من مناقشتهم في بعض ما ذهبوا إليه، ممّا يكشف عن ولائه للبصريين أو بالأحرى حريته في الأخذ والاختيار" (ابن معطي، 1972، ص 86).

ومثال ما اتّبع فيه الكوفيين استعماله لمصطلح"(الجحد) وهو استعمال كوفي للنّفي، ومثل تسميته للصّفة بالنّعت" (ابن معطي، 1972، ص 80)، ومثله أنّه "أجاز أن يقال (كذا درْهم) بالإضافة. وهذه متابعة صريحة لهم" (ابن معطي، 1972، ص 81).

أما بغداديته فتظهر في موافقته لبعض أعلام هذه المدرسة كأبو القاسم الزجاجي وأبو الفتح ابن جنّي، وأبو علي الفارسي (ابن معطي، 1972، ص 86).

9.3 التمثيل:

لأنّ ضرب المثال أهم وسائل التّعليم وبه تتّضح الفكرة، ويتبيّن المقال، ولأنّه الأسلوب الذي يبسّط الفكرة ويجسّدها، كان لزاما العمل به في مناهج التّعليم كلّها، والحرص كل الحرص على حسن اِختياره ليناسب طبيعة المادة ونوعية المتعلّم ومراعاة أن يكون قريبًا من الواقع ليعيشه ويستطيع استثماره في توظيف تلك القواعد التي يتعلّمها في خطابه (زايد واسماعيل عايز، 2014، ص 307).

وهذا ما نجده عند ابن معطي فلِأنّه شبّ على التعلّم، ومارس التّعليم في سِنّ مبكرة اِستعمل هذه الوسيلة وأطنب فيها فاستشهد بالقرآن الكريم إلى جانب كلام العرب شعرًا وأمثالا في مواطن كثيرة، ومثّل بالجمل والكلمات في مواطن أخرى، ومن استشهاده بالقرآن الكريم قوله في باب الحال (ابن معطي، 2010، ص 32):

وهذا نص من الآية 31 من سورة فاطر وهي كاملة "والذي أوحينا إليك من الكتب هو الحقّ مصدّقًا لما بين يديه إنّ الله بعباده لخبير بصير".

وبالشعر قوله في باب الكلام على ربَّ (ابن معطي، 2010، ص 25):

وحيثما لها دليـــل باقـيكقوله وقـاتم الأعمـــاق

وهذا الشّاهد من قصيدة لرؤبة (الشوملي، 1985، ص 409)من بحر الرجز وتمامه:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق مشتبه الأعلام لماع الخفق

ومن تمثيله بالجمل والكلمات قوله في باب إنّ وأخواتها (ابن معطي، 2010، ص 47):

تقول: إنّ خـــالدًا كريـــمُ وليتَ بكرًا عندنا مقيـــمُ

لقد بلغَ مجمل ما اِستشهد ابن معطي في ألفيته (31) مرة بالقرآن الكريم، و(33) مرّة بالشّعر و(6) مرات بأمثال العرب و(23) مرّة بأسماء القبائل والبلدان وما يرْبوُ عن (737) مثالا عاما، ولعلّ هذا العدد الكبير والتّمثيل الوفير ما هو إلّا دليل على حرص ابن معطي على تحقيق الغاية من تعليم قواعد اللّغة ؛ وهي تعويد لسان المتعلم عليها وتهذيب لغته وليس فقط حفظها وتكرارها فهو يعلم أنّها ليست غاية في ذاتها وإنّما وسيلة يتدرّب عليها ليمتلك المهارات اللّغوية التي تؤهله لقراءة وفهم وبناء نصوصٍ من تلقاء نفسِه ليصبح ذلك لديهِ طبيعة مسجاة وفطرة مكتسبة يثبتها.

وإلى جانب الإستشهاد لتوضيح مسائل النّحو اِستعمل ابن معطي التّعليل وهو من أهم مبادئ التعليم في مواضع كثيرة، حيث يبرز السّبب أو العلّة من الحكم أو ضدّه ليضفي عليه المنطق والرجحان ويُوجِد القبول عند المتعلم، بما يناسب عقله، فيزداد الأمر وضوحا ويسهلَ اِستيعابه به لتلك القواعد، ومثال ذلك قوله في باب الأسماء المعربة (ابن معطي، 2010، ص 19):

وإن يكن يـاءً وكسرٌ قبله سمي منقوصًا لنقص حلّه

ويقصد بذلك أن الاسم المنقوص ما سُمِّيَ بذلك إلّا لقصور لَهُ في أمرين: "أحدهما لنقصان ما يستحقه من ظهور علامات الرّفع والجرّ، والثاني لنقصانهِ بحذف لامه مع نقصان مالَهُ من حركتي الرّفع والجر" (الشوملي، 1985، 245).

وما هذهِ الكثرة في الإستشهاد ومناسبته وقوة التّعليل ورجاحته إلّا دليل على سعة علم ناظمها، وإحاطته بِالمادة، وموهبته الفذة في سُبُل الإقناع وطرق التّدريس عموما.

10.3 الاختصار:

هو أسلوب تعليمي غايته الحفاظ على المحتوى المهم في المادة القليلة، ويلجأ إليه أصحاب الكتب التّعليمية وواضعوا المناهج التّربوية بهدف ربح الوقت وتوجيه الهدف والتّخلص من الاسترسال والتّعقيد الذي ينفر منه المتعلمون.ويخدم هذا

الأسلوب مبدأ التّدرج بتناول المهم في كل مرة وعرضه بأوجرعبارة وأقصر طريقة، فَيَتجنَّبَ بذلك تزاحم المعلومات وكثرتها في موضوع واحد.وقد استعمل اِبن معطي هذا الأسلوب في جل مواضيع وأبواب الألفية حتّى أنّه وصفها بـ" الأرجوزة الوجيزة في بداية نظمه كما سبق وذُكر، وفي نهايتها" بقوله (ابن معطي، 2010، ص 38):

نظمها يحي بن معطي المغربي تذكرة وجيـــزة للمغرب

ووصفها أشهر شراح المنظومات ابن الخباز بقوله "فلقد حاز قصب السّبق، حيث جمع بين اللّفظ القليل، والمعنى الكثير، وكيف لا وقد كان نسيج نفسِهِ" (ابن معطي، 1972، ص 86).

ومن أمثلة ذلك أنّه يجمع الأجزاء المتشابهة في موضوع واحد كحصره لأوزان الرباعي في بيت واحد وصياغتها على كلمات ليتجنّب المتعلم الخلط بينهما ويسهّل له حفظها وهي في قوله (ابن معطي، 2010، ص58):

وللرّباعـــيّ قِمْطَرُ سَلْهَبُ وَزِبْرِجُ وَدِرْهَمٌ وجُخْدَبُ

أي أنّ أوزان الرّباعي خمسة وهي (الشوملي، 1985، ص ص 1167-1168): فِعَلْلُ-فَعْلِل-فِعْلَل-فُعْلُل.

وكذا في أوزان الخماسيّ بقوله (ابن معطي، 2010، ص 49):

وللخماسِيِّ جاء قِرْطَعَبْ ولَهُ سَفَرْجَلُ جَحْمَرِشُقُذَعْمِلَهْ

ويقصد أنّ للخماسي أربعة أوزان (الشوملي، 1985، ص ص 1169-1170): فِعْلَلْل-فَعْلَلْل-فَعْلِلْل-فُعَلْلِل

وكما أنّه في كثير من الأحيان كان يستغني بالقاعدة فلا يمثّل لها، أو يشركُ بعضها في مثال واحد لتشابه حالاتها، أو تقارب أحكامها، تخفيفًا على المتعلم وتيسيرًا للمادة (لعويجي، 2021، 489).

إنّ هذه القدرة على جمع المادة واختصارها بأيسر الطرق ميزة تفضّل بها على كثير من المصنّفين واعترف بها شراح نظمه كابن الخباز الذي يقول فيها: "إنّه ليس فيهافضلة كما فعل الحريري في ملحته، فإنّه كان يذكر نصف بيت أو ثلثه من غير فائدة تتميما للوزن" (ابن معطي، 1972، ص 38). وما هذا إلّا دليل آخر على نباغة هذا العالم الكبير وسمة بارزة لا يغفل عنها كل مريد.

4. قيمتها العلمية:

تعد ألفية ابن معطي أول منظمة كبيرة في النّحو (ابن معطي، 1972، ص 36)، نظمها وهو العالم والإمام المبرز والشاعر المتمرّسُ (السيوطي، 1997، ص 437)، تحلّق حوله النّاس طلبًا لعلمِهِ وشرحِهِ للألفية وأقرأها معاصروه ومن جاء بعدهلتلاميذهم، زاخرة بعلوم العربية شاملة لمواضيعها تُغني المتعلم عن غيرها، سهلة المِرَاق، جديرة الوفاقِ، قال عنها الشريشي:"هذه الأرجوزة البديعة شاهدة له بسعة العلم وجودة القريحة، إذ نظم فيها علم العربية نظم الجواهر في السّلك وخلّصها من الحشو تخليص الذهب عند السّبك" (النيلي، 1419هـ، ص 16). ونظم فيها أبياتًا يقول فيها (النيلي، 1419هـ، ص 16):

الدّرة المنظومة الألفية أجلّ مـــا في الكتب النّحوية

لكونهـا في حجمها صغيرة جليـــلة في قدرهـــا كبيـــرة

قد ظبطت أصول علم الأدب واختصرت ما في طوال الكتب

نظّمهـا الشيخ الإمام يحـي فذكره يبقى بها ويحيـــــا

على مرور الدّهر والأعصــار وحيثما حلّت من الأمصــار

فرحمة الله مع السّـــــلام عليه من علامة إمـــــام

وصرّح النيلي وهو أبرز شراحها في مقدمة شرحها بقوله:" وبعد فإني رأيت الأرجوزة الموسومة بالدّرة الألفية دقيقة المعاني وثيقة القواعد والمباني...والتمس مني طائفة من طلبة العلم تأليف شرح يوضح معناها، ويفصح عن معمّاها ويطابق ألفاظها، ويغرى بها حفّاظها، فأجبتهم إلى ذلك" (النيلي، 1419، ص 30).

فإن كان ذلك رأي شراحها وهم علماء في اللّغة ولهم شروح ومصنّفات كثيرة غيرها، شهدوا لها بهذا الخير الجزيل والعلم الغزير، ولبوا طلب أهل العلم في دراستها وتفصيل أبوابها لتكون لهم الورد في علمهم والسبيل لقيدهِ، فاليوم تفطّن لها الباحثون وأقيم تحولها دراسات كثيرة لا تعدّ ولا تحصى لعلمهم بأنها كنز دفين لم تسعفه الأيام ورزق وفير غاب عن أهله، ينتظر الجاد المجدّ لنيلِهِ.

خاتمة

ألفية ابن معطي أول منظومة تعليمية في علم العربية حاز فيها صاحبها فضل السّبق والرّيادة شكلًا ومضمونًا، فهي أكبر متن لهذا الغرض، شملت جلَّ مواضيع هذا العلم، عرضها في شكل جديد بهدف تيسير القواعد، وتذليل صعوباتها وتخفيف محتواها وتليين جفافها، بأسلوب تعليمي يحمي الثّوابت والقيم، وتهواهُ النّفْسُ من النَّظم، متدرج هنيهةهنيهة، يرأف حال المبتدئ الصغير ويبني للرّاسخ المتين، مُلِمٌّ بكل ما يحتاجه في النّحو لسلامة لِسانِهِ وصحة خطابِهِ، يوافق أرقى المناهج وأحدثها ولا يختلف عن أعمدتها، يعين على الفهم بالاستدلال والتّمثيل، مختصر يدفع الملل والفتور، شهد لها القاصي والدّاني بقوة فحواها، وعمق مبناها ولا يسع كلّ باحث فيها، أو مطّلع عليها إلّا التنبيه لها والخروج بتوصيات كما خرجت هذه الدّراسة للعمل بها والحثّ عليها وهي:

- أنّ المنظومة إرث ثقافي علمي جزائري أصيل، يجب الحفاظ عليها، ومعاملتها على هذا الأساس.
- تناول آثار هذا العالم بالدّراسة والشرح والتّحقيق وتشجيع طلبة العلم على ذلك.
- إقامة ملتقيات وأيام دراسية للتّعريف به وكشف مصنّفاتِهِ.
- الإفادة من مادة الألفية في تيسير النّحو لمتعلّمي اليوم، وتقريبهم من النّصوص الأصيلة واللّغة الفصيحة وأصول المادة، لإعانتهم على حفظها وسرعة استحضارها وقوة تمثيلها، كل حسب مستواه ومرحلته التّعليمية.
- الألفية وسيلة تعليمية كأي وسيلة تسهل عرض الدّرس، ولأنّها شعر فهي أقرب إلى نفوس المتعلمين وأخفّ لحمل المادة.
- يعتمد استعمال المنظومات التّعليمية والألفية خصوصا على كفاءة المعلم وطريقة تقديمه، فهو المبسّط يفتح عُقَدها والموجّه يسيّر مراحلها ويجعل منها وسيلة تعينه لتحقيق الهدف من تلك الدّروس.
- لا ينتهي العالمُ بموته، ولكن بغياب أثرِهِ، ولا يحي بعيشهِ ولكن بوصول علْمِه، وابن معطي نسيج نفسه، قوي في علمِهِ، فإنْ قيل أنّ لكل عالم غفوة، فالقول أنّ فضل السّابق على اللّاحق أن يذكر الأثر ويشكر الدّرر ويفي الأمر، ويغفر الزّلل ويصلحَ العثر، ويأتي الغيرَ.